دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	بشار بن برد
المصدر:	مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة - السعودية
المؤلف الرئيسي:	حجاب، محمد نبيه
المجلد/العدد:	مج 5, ع 5
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1981
الصفحات:	131 - 150
رقم MD:	107298
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	ACI, IslamicInfo
مواضيع:	نقد الشعر، بشار بن برد العقيلي ، ت. 167 هـ ، الشعراء العرب، تراجم الشعراء، الشعر العربي، العصر العباسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/107298

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

في أواخر القرن الأول من الهجرة ، وفي مدينة البصرة ، ولد بشار بن برد مكفوف البصر في أسرة فقيرة تمتهن لتعيش ، كان أبوه طيّاناً يضرب اللّبِن ، وأخواه : بشر وبشير قصابَين أما هو فكان مُعفى من أعباء الحياة نظراً لهذه الآفة التي تحول بينه وبين العمل وكان جده (يرجوخ) من سبي المهلب بن أبي صفرة[1] ، واستقرّ ولاؤه في بني عقيل[2] ، العرب الأقحاح ، وعنهم وعن أعراب البصرة ارتشف بشار أفاويق البلاغة صبياً ، واستدر أخلافها يافعاً ، فشب فصيح اللسان ، واضح البيان ، نطق بالشعر وهو دون العاشرة فما أن بلغ الحلم حتى كان يُخشى من سلاطة لسانه .

أخذ بشار منذ حداثته يطلب لنفسه الكمال العقلي ، وفي البصرة حركة أدبية زاهرة ، قوامها جرير والفرزدق ، واخرى علمية زاخرة ، دينية ولغوية وفلسفية ، ولما شب عن الطوق كانت له مشاركة فعالة في هذه وتلك ، وقد شهد مربد البصرة جانباً من شعره ، كما شهدت مجالسُ المتكلمين جانباً من نزعاته ونزغاته .

ذكر أبو الفرج أنه كان في البصرة ستة من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل بن عطاء ، وبشار الأعمى ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الكريم ابن أبي العوجاء ، ورجل من الأزد ، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ،

---

(١) الاغاني (دار الكتب المصرية) جـ ٣/١٣٩

(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ١/٢٧١ دار الثقافة

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

ويختصمون عنده ، فأمّا عمرو ، وواصل فصارا إلى الاعتزال ، وأما عبدالكريم وصالح فصححا التوبة ، وأما بشار فبقي متحيراً مُخَلِّطاً ، وأما الأزدي فمال الى السُّمْنِيَّـة ، وهو مـذهب من مذاهب الهند[1] .

رحل بشار إلى حرّان ليمدح الأمير سليمان بن عبد الملك ، فلما لم يُحسن مكافأته هجاه وعاد أدراجه الى العراق . واتصل بيزيد بن هبيرة الوالي من قبل مروان الثاني ، ومدحه ببعض القصائد التي تعد من عيون الشعر العربي ، أشاد فيها بالقيسية فوصله يزيد وأكرم وفادته .

ولما ترامت الأنباء إليه بموت واصل بن عطاء سنة ١٣١ هـ عاد الى البصرة لملاحاة المعتزلة وفي سنة ١٣٢هـ آلت الخلافة لبني العباس ، وأسفر ذلك عن مقتل ممدوحه (يزيد ابن هبيرة) فجزع عليه أشد الجزع ، وظل على ولائه للعلويين ، ولطالما ظاهرهم بشعره في ثورتهم على الدولة ، وقصيدته « الميمية » التي أنشأها في ابراهيم بن عبد الله سبط الحسن بن علي ـ قائد الثورة في البصرة ـ من جياد القصائد التي يعتز بها الفواطم بدأها بالتنديد بأبي جعفر المنصور . يقول :

أبا جعفر ما طول عيشٍ بدائم

ولا سالم عما قليلٍ بسالم[2]

فلمـا دارت الـدائـرة على الثائـر العلوي خشي بشار على نفسه ، وحاول ان يساير الدولة الجديدة ، فكان أول ما فعله تغيير مجرى القصيدة ، وتوجيهها إلـى (أبي مـسلم) بـدلاً مـن (أبي جعفـر)[1] . وعبثاً حـاول الاتصـال بالخليفة أو بأخيه (العباس بن محمد) فقد كانا على علم بحقيقة أمره ومدى تنكّره للعرب ، ونقمته من بني العباس ، فاكتفى بتوثيق صلته بوالي البصرة عقبة ابن مسلم بن قتيبة ، وكان أديباً أريباً ، جوادا سمحاً ، وداره منتـدى الأدباء ومنتجـع الشعراء ، ولم يكن عسيـراً عليه ، وقد تألق نجمه في سماء الشعر أن يتصل بخالد البرمكي ، رأس البرامكة ،

(١) الاغاني جـ ١٤٦/٣

(٢) الاغاني جـ ١٥٦/٣ والديوان جـ ١٦٩/٤

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

وأحد كبار الدعوة لبني العباس ، وتظاهر البرمكي ـ أول الأمر ـ بالازورار عنه ستراً لموقفه ، فهما على دين واحد ، وان دينهم الحق أن تقتل العرب ، كما قال نصر بن سيار لابن أبي هبيرة .

فلما كانت أيام المهدي ، وكان خفيف الوطأة على العلويين لانشغاله بمناهضة الزنادقة استبشر بشار خيرا لنفسه ولشعره ، وقد صدقت فراسته ، وتحقق حلمه إذ لم يمضِ غير قليل حتى كان الشاعر الأثير في البلاط ، ولكن الدهر لا يدوم على حال وما زالت الايام شيمتها الغـدْرُ ، فقد لَعبت الوشاية بينه وبين الخليفة حتى غيّرتْ قلبه عليه ، فلما يئس آثر العودة إلى البصرة ، وانتظم في مجلس العالم اللغوي يونس بن حبيب . ووجد في مدارسة اللغة والشعر برد العزاء ، ولكن عقيدته الفاسدة ، ولسانه السليط جرَّا عليه الوبال ، وكان مقتله بين فكيه سنة ١٦٨ هـ بتهمة الزندقة[١] .

تظاهر بشار بالإسلام ، والإسلام منه براء ، يروى أنه سمع إحدى جواريه تغنّي بشعره فقال : (هي والله أحسن من سورة الحشر) . والواقع انه كان مجوسي العقيدة ، دين آبائه وأجداده ، الا تراه يقدس النار ، ويصوب رأي إبـليس في تفضيلها على الطين ، وإبائه السجود لآدم ؟ استمع اليه في قوله :

إبليس خيـر من أبيكم آدم
فتنبّهـوا يا معشـر الفجّار[٢]
إبليس من نـــار وآدم طينـة
والأرض لا تسمو سموّ النار

وقوله :

الأرض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة مُذ كانت النار[٣]

وفي عقيدته ومذهبه يقول الجاحظ : يدين بالرجعة ويكفّر جميع الأمة بعد الرسول صلوات الله عليه ، لأنها حادت عن الجادّة . فلما سئل عن الامام علي تمثل بقول عمرو بن كلثوم :

---

(١) الاغاني جـ ٣/٢٤٩ ، وطبقات الشعـراء لابن المعتز/٢١

(٢) البيان والتبين جـ ٢

(٣) وفيات الاعيان جـ ١/٢٧٣ ، والأغاني جـ ٣/١٤٥

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا

أما أخلاقه فلم يكن باطنه خيراً من ظاهره وهو القبيح الدميم الأعمى ذو الوجه المجدور ، فضلاً عن أنه كان فظّاً غليظ القلب ، فاجراً ماجناً مستهتراً ، إباحي النزعة كما سنرى .

شعوبيّته

الشعوبية فرقة من العجم تحقر شأن العرب وتستطيل عليهم بحضارتهم العريقة ، وأمجادهم التاريخية ، وكان بشار متعصباً على العرب ، متطرفاً في عصبيته ، وقد بلغ به الأمر أن كان يحرّض قومه على نبذ الولاء . يقول أبو الفرج : (إن رجلاً شريفاً من بني زيد وقف على بشار وقال له : لقد أفسدت علينا موالينا ! تدعوهم إلى الانتفاء منا ، وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء ، وأنت غير زاكي الفرع ولا معروف الأصل . . . فقال بشار : والله لأصلي أكرم من الذهب ، ولفرعي أزكى من عمل الابرار ولو شئت أن أجعل جوابك شعراً لفعلت ، ولكن موعدك غداً في (المربد) ، فخرج من الغد يريد المربد ، فإذا رجل ينشد قصيدة كلها فحش فسأل عنه ، فقيل له : هذا بشار يقول فيك ، فرجع الى منزله من فوره ولم يدخل المربد ابداً)[1] .

ولعل أقذع هجاء ما تفوّه به في حضرة مجزأة بن ثور السدوسي ، حينما هاجه أحد الاعراب بقوله : ما للموالي والشعر ؟ . . يقول ابو الفرج : (دخل أعرابي على مجزأة بن ثور السدوسي وبشار عنده ، وعليه بزّة الشعراء . فقال الإعرابي : من الرجل ؟ فقالوا : شاعر فقال : أعربي هو أم مولى ؟ فقالوا : بل مولى . فقال الإعرابي ما للموالي والشعر ، فغضب بشار ، وقد أخذته العزة بالإثم ، وسكت هنيهة ثم قال : اتأذن لي يا أبا ثور ، فقال : قل ما شئت يا أبا معاذ ، وتلك كانت كنيته ، فأنشد قصيدته الرائية المفحشة التي خلع فيها عذار الحشمة والوقار ، ومطلعها :

(١) الأغاني جـ ٣/٢٠٣

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

خليليَ لا أنام على إقتار
ولا آبي على مولى وجار[1]

ولما فرغ من إنشادها ، قال مجزأة للإعرابي ، فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك .

أما القصيدة التي عفّ فيها لسانه إلى حد ما ، ولم يتندر بالعرب الا قليلاً فهي تلك البائية التي صرف أكثرها في الفخر بآبائه الصيد من مرازبة العجم ، وفيها يقول :

هل من رسول مخبر
عني جميع العربِ
من كان حيّا منهم
ومن ثوى في الترابِ
بأنني ذو حسب
عالٍ على ذي الحسبِ
جدي الذي أسمو به
كسرى . وساسان أبي
وقيصر خالي إذا
عددت يوماً نسبي
كم لي ، وكم لي من أب
بتاجه معتصبِ
أشوس في مجلسه
يُجْثَى له بالركبِ
إنّا ملوك لم نزل
في سالفات الحقبِ
نحن ذوو التيجان والـ
ملكِ الأشم الأغلبِ

ولما امتعضت العرب مما آل اليه نفوذ الموالي في هذا العصر ، أجابهم بشار بقوله ، مخاطباً بني العباس :

أنصفتمونا فعابوا حكمكم حسدا
والله يعصمكم من غِلِّ حساد
سطوا علينا بأنْ كنّا مواليكم
وعيَّرونا بآباء وأجداد

---

(١) وفيها يقول :
أنا ابن الأكرمين أبا وأما
تنازعني المرازب من طَخَارِ
إذا انقلب الزمان علا بعبد
وسفّل بالبطاريق الكبارِ
أحين كسيت بعد العري خزّاً
ونادمت الكرام على العقارِ
تفاخر يابن راعية وراعٍ
بني الاحرار؟ حسبك من خسارِ
(الديوان ، جمع ابن عاشور ص ٢٩٩) والاغاني جـ ١٦٦/٣

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

وقد نرى عار قوم في أنوفهم
ونترك العيب ، اذ ليسوا بأنداد
لولا الخليفة أنّا لا نخالفه
لقد دلفنا لإروادٍ بإرواد
حتى ترونا وعين الشمس فاترة
في كوكب كشعاع الشمسِ وقاد
نحسُّ نيران حرب غير خامدة
تحت العجاج بأرواح وأجساد
هناك ينسون مروانا وشيعته
ويطرقون حذار المنصل العادي
إنّا سراة بني الأحرار وفّرنا
ركض الجياد وهزّ المفصل البادي
سُقْنا الخلافة، تحدوهاأسنتنا[1]
والقاسطون على جهد وإسهادِ

ولقد حدّث عن نفسه فقال : «دخلت على المهدي فقال لي : فيمن تعتدُّ يا بشار ؟

فقلت : أما الزِّيّ واللسان فعربيان ، وأما الأصل فأعجمي كما قلت :

ونبِّئتُ قوماً بهم جِنَّةٌ
يقولون : من ذا ؟ وكنت العلم
ألا أيها السائل عنّي جاهداً
ليعرفني ، أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بني عامر
فروعي.وأصلي قريش العجم[2]

أما مذهبه السياسي فكان متلوناً ، وإن تظاهر بالتشيّع لآل البيت ، شأنه في ذلك شأن غيره من العجم ، أما رأيناه يمدح العلوي الثائر بالبصرة ـ ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي ـ ويهجو الخليفة أبا جعفر في ميميته التي غيّر مجراها بعد هزيمة صاحبه ابراهيم ، ولم ينس أن يفخر بأجداده الفرس ويشيد بأمجادهم وبلائهم في الحروب بقوله :

أبا جعفر ما طول عيشٍ بدائم
ولا سالم عما قليل بسالم
على الملك الجبار نقتحم الردى
ونصرعه في المأزق المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتل متوّج
عظيم ، ولم تسمع بفتك الأعاجم
لحا الله قوماً رأسوك عليهمُ
وما زلت مرؤوساً خبيث المطاعم

(١) الديوان جـ ٢/٣٠١

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٠ ، ٣١

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

أقـوم لـبـسّـام عـلـيـه جـلالـة
غـدا أريحيـاً عـاشقـاً للمكـارم
من الفـاطميين الـدعـاة إلى الهـدى
جهاراً . ومـن يهديك مثل ابن فاطم ؟
سـراج لعين المـستـضيء ، وتـارة
يكـون ظـلامـاً للعـدوِّ المـزاحم[1]

وكان طبيعياً أن يحفظ الفرس له هذا الصنيـع ، فلما عـاد اليهم النفـوذ ، بانتصار المأمون على أخيه الأمين ، أكرموا أولاده . وقد سعى الى ذلك بنفسه طاهر بن الحسين ، قائد المأمون .

شِعرُهُ وشَاعِريَّته

لم يكن بشار كغيره من مخضرمي الدولتين الذين ورثوا الأساليب القديمة ، ثم نهجوا نهجها لا يبغون عنها حولاً ، بل كان من أولئك الشعراء المتصرفين الـذين يحتكمـون الى أذواقهم فيمـا ينظمون وفيما يذهبون .

كان ذكي القلب ، حاضر الذهن ، خصب الخيال ، كما كان طليق النفس ، حـرّ التفكير ، يقلد القـدامى حينا ، ويخالفهم حينا آخر ، وهو لا يقلد إلا عن ميل ، ولا يخالف الاّ لغاية ، تقوده في ذلـك فطرة سليمـة ، ونفس شاعـرة خلاّقة ، كما كان كذلك ذا شخصية مستقلة واضحـة ، تجلت في تقليده وتجديده ، ولعل هذا ما حدا بالأصمعي أن يـقـول : «بـشـار خـاتـمـة الشعراء»[2] وبأبي عبيدة ان يقول : «أشعر المحدثين السيد الحميري وبشار» .

اما ابن رشيق فقد أشار في مواضع عدة الى انه أول من فتق البديع ، يعني بـذلـك تجميـل الأسـاليب بـالصـور الخيالية ، والمحسنات اللفظية ، فمن شعره التقليدي قوله :

لـعبـدة دار مـا تـكـلمـنـا الـدار
تلوح مغـانيهـا كمـا لاح أسـطار
أسـائـل أحجـاراً ونؤيـاً مهـدّمـاً
وكيف يُجيب القلب نـؤى وأحجار ؟
ومـا كلمتـني دارهـا إذ سـألـتهـا
وفي كبـدي كالنفط شبّتْ بـه النـار

(١) الأغاني جـ ٣/١٥٦/١٥٧ والديوان جـ ٤/١٦٩ (٢) الأغاني جـ ٣/١٤٣ ، ١٥٠

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

وعند مغاني دارها لو تكلمت
لمكتئب بادي الصبابة أخبار[1]

ومن التجديد في غزله قوله :

وكـأنّ رجـع حـديـثـهـا
قـطع الريـاض كُسِين زهرا
وكـأنّ تـحـت لـسـانـهـا
هاروت ينفث فيه سحـرا[2]

ومظاهر التجديد هنا تتجلى في اختيار الأوزان القصيـرة الرقيقـة ، والصـور البيانية ، وسهـولة الألفـاظ ، وتجنب الغريب .

والحق أن بشاراً كان مطبوعاً على قرض الشعر منذ حداثته ، يدعوه وهو في العاشرة فلا يتأبّى عليه ، ويطلبه فيخضع له ، بأوزانه وقوافيه ، ولا أدل على ذلك من أنه كان يرتجل في المعنى الضيق ، والقـافيـة العسـرة فيـأتي بـالعجيب المعجب . ذكروا ان المنصور ركب هجيناً في وقت الهاجـرة ، فجعلت الشمس تلمع بين عينيه ، فقال لمن حوله : انّي قائل بيتاً فمن أجازه فله جُبَّتي هذه ، وقال :

وهـاجرة نصبت لهـا جبيني
يقطِّع ظهرهـا ظهر العـظاية

فابتدر بشار قائلاً :

وقفت بها القلوص ففاض دمعي
على خدّي ، وأقصر واعظايه

فنزع المنصور الجبة ودفعها اليـه فباعها بأربعمائة دينار[3] .

* * *

لم يدع بشار باباً من أبواب الشعر الا طرقه ، ولا وتراً من أوتاره إلا داعبه ، هجا فـأقـذع وأوجع ، وتغـزل فأبـدع وأمتع ، ومدح فأشاد وأجاد ، ووصف فأفتن وابتكـر، وافتخر بأجـداده العجم فحرك سكينة العرب ، أما مراثيه فهي ذوب العاطفة ، وأما حكمه وأمثاله فهي وليدة التجارب وثمرة الخبرة .

كان الغزل أظهر فنونـه الأدبية ،

(١) الديوان جمع ابن عاشور جـ ٦٤/٤ ، ٦٥
(٢) المرجع السابق جـ ٥٥/٤
(٣) الأغاني جـ ١٧٩/٣

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

وميدانه الأصيل الذي بذّ فيه معاصريه ، ولم يُشَق له غبار ، غير أنه في تشبيبه كان يجنح أحياناً كثيرة إلى العبث والمجون ، ونُحيل القارىء في ذلك الى الديوان . ويبدو أن أولى صبواته كانت مع جارية مغنية تدعى فاطمة ، سمعها تغني فهوّمها وعشقها من صوتها اذ كان أعمى ، وفيها يقول :

درة بحرية مكنونةٌ
مازها التاجرُ من بين الدررْ
عجبت (فطمة) من نعتي لها
هل يجيد النعتَ مكفوفُ البصرْ؟[1]

وقد أجابها في موضع آخر بقوله الذي ذهب مثلاً :

يا قومِ أذني لبعض الحيِّ عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا: بمن لا ترى تهذي؟ فقلت لهم
الأذن كالعين توفّي القلب ما كانا[2]

ومع أنه عشق بعدها الكثيرات ، محصنات وغير محصنات ، أبكاراً وثيّبات فإن (عبدة) من بينهن كانت القريبة الى قلبه الأثيرة عنده ، وكان لا يكف عن ذكرها ، فمن ذلك قوله[3] :

لم يطل ليلي ولكن لم أنمْ
ونفى عني الكرى طيفٌ ألم
وإذا قلت لها : جودي لنا
خرجت بالصمت عن لا . ونعمْ
نفسِّي يا عبدُ عني واعلمي
انني يا عبدُ من لحم ودمّ
إن في بردي جسماً ناحلاً
لو توكأت عليه لا نهدم

ألا تراه في ذلك متيّماً شفَّه الوجد ، وعذبه الهجر والصدّ حتى براه الحب وأصبح جلداً على عظم ؟

هذا أهون ما كان من بشار الأعمى ذي النزعة البوهيمية الجامحة التي زيّنت له أن يتخذ لنفسه مجلساً يدعى (البردان) يحضره الغزلات من النساء ، فيحادثهن ويحادثنه ، ويعشق من بينهن صاحبة

(١) الديوان جـ ٤/٦٨ ، ٦٩
(٢) المرجع السابق جـ ٤/١٩٤ ، ١٩٥
(٣) المرجع السابق جـ ٤/١٦٦

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

الصوت الرخيم فإذا ما انصرفت أرسل غلامه في أثرها ، فإذا أبت قذفها بفاحش القول ، وفي ذلك يقول مالك ابن دينار (ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة من الفسق من أشعار هذا الأعمى) ويقول أبو عبيدة (وأي حرة حصان تسمع غزل بشار ولا يؤثر في قلبها ؟ ، فكيف بالمرأة الغزلة التي لا هَمَّ لها الا الرجال) .

ذكروا ان المهدي حينما سمع قوله :

قاسِ الهمومَ تنلْ بها نُجْحا
والليل إن وراءه صبحا
لا يُيْئِسَنَّك من مخبَّأة
قولٌ تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة
والصعب يمكن بعد ما جمحا

وكان غيوراً ، هدده وتوعده وقال له : أتحض الناس على الفجور ؟ وتقذف المحصنات المخبآت ؟ والله لئن قلت بعد هذا بيتاً لآتينَّ على روحك .

ومع هذا الوعيد والتهديد فقد استطاع أن ينفذ إلى مآربه من مسارب خفية بلباقة وشاعرية ، وكأنَّه لم يعص للخليفة امراً ، نلمح ذلك في قوله :

يا منظراً حسناً رأيته
من وجه جارية فديته
بعثتْ اليَّ تسومني
بُرْدَ الشباب وقد طويته
أمسكتُ عنكِ وربما
عرض البلاء وما ابتغيته
إن الخليفة قد أبى
وإذا أبى شيئاً أبيته
ومخضّب رخص البنا
ن بكى عليَّ وما بكيْته
قام الخليفة دونه
فصبرت عنه وما قليته
ونهاني الملك الهما
م عن النساء وما عصيته[٢]

وإذا تركنا جانب الغزل الى الهجاء نجد أن هذه الآفة التي ذهبت ببصره وهو صغير ، جعلته موضع العطف من أهله وذويه ، وأن هذا العطف كان له اثره

(١) الأغاني جـ ٣/٢٣١

(٢) المرجع السابق جـ ٣/٢٣٩ والديوان جـ ٢/٢٤

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

السيء في خلقه ومسلكه ، فقد هام على وجهه في أودية الضلال ولا رادع يردعه ، ومن ثم شبّ جريئاً متبجحاً ، سليط اللسان ، فاحش القول ، وما كاد يبلغ الحلم كما يقولون حتى كان (مخشي معرة اللسان)[1]اثر عنه قوله : (هجوت جريراً فاستصغرني ، ولو هجاني لكنت أشعر أهل زماني)[2]وحقاً لقد انطلق لسانه بالهجاء وهو صغير ، وكان إذا هجا قوماً جاءوا الى أبيه شاكين ، فيضربه ضرباً شديداً ، فكانت أمه تقول له : كم تضرب هذا الصبي الضرير !! أما ترحمه ! فيقول لها : بلى . والله اني لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه اليّ ، فلما سمع الفتى منه ذلك قال : يا أبت إن هذا الذي يشكونه مني هو قول الشعر ، واني ان ألَمْتُ به أغنيتك وسائر أهلي ، فإن شكوني اليك فقل لهم : أليس الله يقول : ﴿ليس على الأعمى حرج﴾؟ فلما عاودوه شكواه قال لهم ما قاله بشار ، فانصرفوا وهم يقولون : (والله ان فقه بُرْد لأغيظ لنا من شعر بشار)[3] .

اتخذ بشار من الهجاء سلاحاً يشهره في وجه من ينتقص قدره او يحجم عن وصله وقلما سلم من لسانه أحد ، والهجاء عنده طريق الغِنى ، ودونه في ذلك المديح ، وذلكم هو قوله : (من أراد من الشعراء ان يكرم في دهر اللئام على المديح ، فليستعد للفقر ، وإلا فليبالغ في الهجاء ، ليُخشى فيُعطى) فما اشبهه في ذلك بالحطيئة ، وكلاهما كان وضيع الأصل ناقماً من المجتمع الاّ أن بشارا اتخذ من الهجاء أيضا صوراً فنية يحذو فيها حذو شعراء النقائض من أمثال جرير والفرزدق والأخطل ، فقد ولد ونشأ في عنفوان حركتهم الأدبية في مربد البصرة وشهرتهم طبقت الآفاق ، ومن ثم كانوا مثله الأعلى ، وحدث ان استمنح العباس بن محمد فلم يمنحه ، فهجاه بقوله :

ظل اليسار على العباس محدودُ
وقلبه أبداً بالبخل معقودُ

(١) الأغاني جـ ١٤٤/٣ ، ١٤٩
(٢) المرجع السابق/١٤٥
(٣) المرجع السابق/٢٠٨

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

إن الكريم ليخفي عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهـو مجهود
وللبخيـل على أمواله علل
زرق العيون عليها أوجه سود[1]

إذا علمت هذا ، وعلمت أيضاً أنه كان من رؤوس الشعوبية المتعصبين على العرب فاعلم ايضاً ان له فيهم أهاجي مقذعة نفث فيها كل ما في نفسه القاتمة من شرور وسموم كما رأينا . وفي الأغاني من ذلك الكثير .

هذا ومن يجوّد في مجال الهجاء يجود أيضاً في مجال الفخر والتطاول على الخصوم ، ومن ذلك قوله في إحدى المعارك التي دارت بين أميره عمر بن هبيرة والخارجين على الدولة .

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى
وبالشوك والخطّى حمرٌ ثعالبه
غدونا له والشمس في خدر أمّها
تطالعنا ، والطلّ لم يجر ذائبه
بضربٍ يذوق الموتَ من ذاق طعمه
وتُدرك من نجّى الفرارُ مثالبه
بعثنا لهم موت الفجاءة ، إننا
بنو الموت خفّاق علينا سبائبه
فراحوا : فريق في الإسار ، ومثله
قتيلٌ ، ومثلٌ لاذ بالبحر هاربه
إذا الملك الجبار صعّر خدّه
مشينا إليه بالسيوف نعاتبه[2]

أما الرثاء فقد كان أقلَّ فنونه كمّاً وحجماً ، شأن كل سادرٍ في غيّه ، غارقٍ في لهوه فإذا مسته اللوعة واعتصره الهمُّ ، أتى بما يذيب النفوس حسرت ، يقول أبو الفرج (توفي لبشار ابن فجزع عليه أشد الجزع ، فقيل له : أجرٌ قدمته ، وذخر أحترزته فقال : وولدٌ دفنته ، وثكلٌ تعجلته ، وقال يرثيه :

أجارتنا لا تجزعي وأنيبي
أتاني من الموت المطل نصيبي
بُنَيَّ على رغمي وسخطي رزئته
وبدِّل أحجاراً وجال قليبِ
كأنّي غريب بعد موت محمدٍ
وما الموت فينا بعده بغريب
صبرت على خير الفتوِّ رزئته
ولولا اتقاء الله ، طال نحيبي

(١) المرجع السابق/١٩٥

(٢) الأغاني جـ ٣/٢٣٧ والديوان جـ ١/٣١٥ ، ٣١٩

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

لعمري لقد دافعت موت محمد
لو أن المنايا ترعوي لطبيب
دعته المنايا فاستجاب لصوتها
فلله من داع دعا ومجيب
رزئت بُنَيَّ حين أورق عوده
وألقى عليَّ الهم كل قريب
عجبت لإسراع المنية نحوه
وما كان ـ لو مُلِّيتُه ـ بعجيب
نؤمل عيشاً في حياة ذميمة
أضرَّت بأبدان لنا وقلوب
وما خير عيشٍ لا يزال مفجَّعاً
بموتٍ نعيم أو فراق حبيب[1]

وأما أقواله الحكيمة التي سارت مسرى الأمثال ، فقد استمدها من واقع الحياة ، ومن تجاربه العديدة في حياته المديدة المخضرمة ، نلمح ذلك في قوله :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعنْ
برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كفٍّ أمسك الغُلَّ أختها
وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخلِّ الهوينى للضعيف ولا تكن
نؤوما ، فإن الحر ليس بنائم[2]

وقوله :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً
صديقك لم تلق الذي لا تعاتُبه
فعشْ واحداً ، أو صلْ أخاك فإنه
مقارفُ ذنباً مرة ومجانبه
إذا انت لم تشرب مراراً على القذى
ظئمت ، وأي الناس تصفو مشاربه[3]

منزلته الأدبية

أجمع الرواة والنقاد على أنه رأس المحدثين المقدمين وأسبقهم إلى اصطناع البديع ، وأول من جمع في شعره بين جزالة القدامى ورقة المحدثين ، وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة البارعة ، سئل عنه الأصمعي وعن مروان بن أبي حفصة ، أيهما أشعر ؟ فقال : بشار ؛ لأن مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق من تقدمه ، وشركهُ فيه من كان في عصره ، وبشّار سلك طريقاً لم يُسلك وأحسن فيه وتفرد به ، وهو أكثر تصرفا ، وفنون شعر ، وأغزر وأوسع بديعاً ، ومروان لم يتجاوز الأوائل ،

(١) الأغاني جـ ٣/١٦١ (٢) الديوان جـ ٤/١٧٢ ، ١٧٣ (٣) الديوان جـ ٤/٣٠٩ ، والأغاني جـ ٣/٢٣٧

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

وسبق ان ذكرنا قول الأصمعي : (بشار خاتمة الشعراء) .

وحدّث بشار عن نفسه فقال : لي اثنا عشر ألف بيت عين ، فقيل له : هذا ما لم يدعيه أحد قط سواك ، فقال : لي اثنتاعشرة الف قصيدة ، لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت عين .

ولما قيل له : ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشُكَّ فيه ، وأنه ليس في شعرك ما يُشَكّ فيه . قال : ومن أين يأتيني الخطأ ؟ ولدت هنا ، ونشأت في حجور ثمانين شيْخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ . . . وأيفعت فأبديت - أي خرجت الى البادية - إلى أن أدركت ، فمن أين يأتيني الخطأ ؟

وفى إطرائه وبيان منزلته يقول علي بن المنجم : سمعت ممن لا أحصي كثرة من الرواة من يقول : أحسن الناس ابتداء من الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

ومن المحدثين بشار حيث يقول :

أبى طللٌ بالجزع أن يتكلما

وماذا عليه لو أجاب متيماً

وبالفرع آثار بقين وباللوى

ملاعب لا يعرفن إلّا توهماً[1]

ولقي رجل ابا عمرو بن العلاء،فقال له : يا أبا عمرو من أبدع الناس بيتاً ؟ قال الذي يقول :

لم يطل ليلي ولكن لم أنمْ

ونفى عني الكرى طيف ألمْ

رفّهي يا عبد عني واعلمي

أنني يا عبد من لحم ودم

إن في بردي جسماً ناحلاً

لو توكأت عليه لا نهدم[2]

قال : فمن أمدح الناس ؟ قال الذي يقول :

لمست بكفي كفّه ابتغي الغنى

ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى

أفدت . وأعداني فأتلفت ما عندي[3]

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال الذى يقول

(١) الاغاني جـ ٣/١٤٨ (٢) الاغاني جـ ٣/١٥٠ (٣) الاغاني جـ ٣/١٥٠

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

رأيت السُّهَيلَيْن استوى الجود فيهما
على بُعْد ذا من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله
كما جاد بـ (الوجعا) سهيل بن سالم[1]

قال : وهذه الأبيات كلها لبشار .

وقال الجاحظ : كان بشار شاعراً خطيباً صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع المفتنين في الشعر ، القائلين في اكثر أجناسه وضروبه ، قال الشعر في حياة جرير وتعرض له ، وحكي عنه أنه قال : هجوت جريراً فاستصغرني وأعرض عني ، ولو هجاني لكنت أشعر الناس

* * * *

مذهبه وشخصيّته

لم يتطور الشعر في العصر العباسي دفعة ، وإنما ناله الكثير من مظاهر التجديد في العصر الأموي على يد ابن أبي ربيعة في غزله ، والوليد بن يزيد في خمرياته ، وذي الرمة في تشبيهاته ، والسيد الحميري في تجنبه الغريب . . . وفي شعر بشار التقتْ كل هذه الخصائص .

(أ) فهو في غزله يصطنع أسلوب ابن أبي ربيعة القصصي ، ويتحدث عن تجاربه الشخصية ويتخذ الأوزان القصار إجابة لدواعي فن الغناء كقوله :

ياليلة تزداد نكراً
من حُبّ من أحببت بكرا
حوراء ان نظرت إليْـ
ـك سقتك بالعينين خمرا
وكفاك . اني لم أحط
بشكاة من أحببت خُبْراً[2]

(ب) وفي خمرياته يقتفي أثر الوليد ابن يزيد ، سكير بني أمية ، وللوليد أشعار كثيرة في الخمر وصِفتها ، أخذها الشعراء وضمنوها أشعارهم ، وبخاصة أبو نواس .

(جـ) وفي تشبيهاته ينهج نهج ذي الرمة إلا أنه صبغها بصبغة حضرية .

(د) وهو في تجنبه الغريب ، والبعد عن التكلف ينزع منزع السيد الحميري ، غير أنه كان يراوح بين

(١) الاغاني جـ ١٥١/٣

(٢) الديوان جـ ٥٥/٤

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

الجزالة والسهولة ، ولكل مقام مقال . يروى انه حينما مدح مسلم بن قتيبة بقصيدته الرائية التي أكثر فيها من الغريب ، ومطلعها :

بكِّرا صاحبيَّ قبل الهجير
إن ذاك النجاح في التبكير

سأله خلف الأحمر في ذلك فقال : بلغني أن سلماً الخاسر كان يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان (إن ذاك النجاح) كِّرا فالنجاح في التبكير ، لكان أحسن ، فقال بشار : بنيتها أعرابية وحشية ، فقلتُ كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت كما تقول : (بكِّرا فالنجاح في التبكير) لكان هذا من كلام المولدين ، فقام خلف فقبل ما بين عينيه .

ليس شعر بشارٍ إذاً جديداً في عناصره ومعانيه إلا في القليل ، غير أنه تناول أساليب القدامى ومزجها بفنه الخالص فبدت كأنها من مستحدثاته .

ولطالما تحدثوا عن الليل وتطاوله ، وضاقوا به ذرعاً ، والليل في ذاته لا يطول ولا يقصر فلما قال الفرزدق :

يقولون طال الليل والليل لم يطلْ
ولكن من يبكي من الشوق يسهر

حمد الناس له هذا ، وتبعه بشار ففرح الجميع بسهولة المأخذ ، وجمال الايقاع ، يتجلى ذلك في قوله :

لم يطل ليلي ولكن لم أنم
ونفى عني الكرى طيف ألم

تجلت شخصية بشار في أخذه وتقليده ، كما تجلت في ابتكاره وتجديده فهو قد أخذ معاني السابقين ، وحاكى أساليبها في جزالتها ، وتناولها بالتهذيب أو الزيادة ، أو نقْلها من حال إلى حال كقوله فيمن أحب :

مريضة ما بين الجوانح والضَّنى
وفيها دواء للعيون وداء[1]

أخذه من قول الأعشى :

(١) الديوان جـ ١/١٢٦

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

وكـأس شـربت على لـذّة
وأخـرى تداويت منهـا بهـا

وتبعه في ذلك أبو نواس :

دع عنك لومي فان اللوم إغراءُ
وداوني بالتي كانت هي الداء

● وقوله :

جَفَتْ عيني عن التغـميض حـتىّ
كـأنَّ جفـونهـا عنهـا قصـار[1]

مأخوذ من قول جميل :

كأنّ المحب قصير الجفون
لـطول السهـاد ولم تقصـر

يقول التُّجيبي : وبيت بشار أحسن فصار أحق به ، وتناوله العتابي فأفسده بقوله :

في مآقيَّ انقباضٌ عن جفونها
وفي الجفون عن الآماق تقصير

● وقوله :

يـروِّعه السـرار بكـل شيء
مخافة أن يكون به السِّرار[2]
كـأنَّ فـؤاده كـرة تـنـزّى
حذار البين ، لو نفع الحذار

والبيت الأول مأخوذ من قول أشعب : (ما رأيت اثنين يتساران إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء) .

وقد سبقهما إلى ذلـك ابن أيوب العنبري فقال :

لقـد خفت حتى كل نجـوى رأيتهـا
أرى أنـني مـن أمـرهـا بـسـبـيـل

وجرير فقال :

تركوك تحسب كل شيء بعدهم
خيـلاً تكـرّ عليكمُ ورجـالا

يقول الفضل بن اسحق : وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من قول بشار فقال :

تركتني الوشاةُ نصبَ المُسِـ
ـرّين ، وأُحدوثةً بكل مكان
ما أرى خالِيَيْنِ في السِّر الا
قلت : ما يخلوان إلا لشاني

أما البيت الثاني فمأخوذ من قول الفرزدق :

وخـافـوك حتى القـوم تنـزو قلوبهم
كنـزو القـطا ضمّت عليـه الحبـائـل

(١) الديوان جـ ٤/٢٤٩

(٢) الديوان جـ ٤/٢٤٧

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

ذكر التُّجيبي لهذا البيت نظائر عدة ، وعلق عليها بقوله : « إلا أن بشارا أغرب بذكره الكرة ، وذكر علة الخفوق ، وذكر أنه غير منتفع بها . كل هذا في بيت فكأنه استظهر شيئا على الجماعة بتمكن بيته في الصناعة » .

● وقوله :

وطال عليّ الليلُ حتى كأنه
بليلين موصول فما يتزحزح[1]

سبقه إلى ذلك عدي بن الرقاع فقال:

فكأن ليلي حين تغرب شمسه
بسواد آخر مثله موصول.

● وقوله :

تجري على أحسابهم
والعود ينبت في لحائه .

مأخوذ من قول زهير :

وهل يُنْبتُ الخطىَّ إلا وشيجه
وتُغْرَسُ إلا في منابتها النخلُ

● وقوله :

ترجو غداً ، وغدٌ كحاملةٍ
في الحيّ لا يدرون ما تلد[2]

مأخوذ من قول زهير :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

● وقوله :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت ، وأيّ الناس تصفو مشاربه[3]

مأخوذ من قول النابغة :

ولست بمستبق أخاً لا تلمُّه
على شَعَثٍ ، أيّ الرجال المهذب ؟

● وقوله :

قتلتُ السّرَ كتمانا
وقتل السّر أبقى له[4]

من قول كُثيّر :

كريم يميت السّر حتى كأنّه
إذا استخبروه عن حديثك جاهل

أخذه المتنبي فقال : (وسرّكمُ في الحشا ميت) .

أوليّاته

كذلك تجلت شخصيته الأدبية في

(١) الديوان جـ ٢/١٠٤
(٢) الديوان جـ ٣/٦٣
(٣) الديوان جـ ١/٣٠٩
(٤) الديوان جـ ٤/١٤٨

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

(معانيه المخترعة) التي تفصّح بها الشعراء من بعده ، وقد أشار الى ذلك التّجيبي ـ شارح المختار ـ ، وأبو بكر الأصفهاني في كتابه (الزهرة) وغيرهما من رواة الأدب وناقديه . من ذلك قوله وهو من براعاته المشهورة :

كأن مُثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبه[1]

أخذه العتابي فقال :

تَبْنِي سنابكُها من فوق هامهمُ
ليلا ، كواكبه البيض المباتير

وقد جاراه مسلم فقال :

في جحفل تشرق الأرض الفضاء به
كالليل أنجمه القضبان والأسل

وأخذه ابن المعتز فقال :

وعمَّ السماءَ النّقعُ حتى كأنه
دخان وأطراف الرماح شرار

كما أخذه المتنبي فقال :

يــزور الأعادي في سماء عجاجة
أسنّته في جانبيها الكواكب

والنقاد يقولون : بيت بشار أصنع .

● قوله في الخمر :

شربنا من فؤاد الـدّن حتى
تركنا الدّن ليس له فؤاد[2]

أخذه النظام ـ وينسب لأبي نواس ـ فقال :

مـا زلت آخذ روح الـزق في لطف
وأستبيــح دمــاً من غيــر مجــروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي
والـزِّقُ ،مُــطَّــرَحاً ، جسم بلا روح

● وقوله في الغزل :

من راقب النـاس لم يظفـر بحاجتـه
وفـاز بـالـطيّبـات الفـاتـك اللهـج[3]

أخذه سلم الخاسر فقال :

من راقب الناس مات غمّـاً
وفــاز بــالـلذة الـجــسـور

كمـا أخذه ابـو العتاهيـة فقـال :

(فاجسر فإن أخا اللذات من جسرا)

● وقوله في إنتهاب اللذات :

(١) الديوان جـ١/٣١٨ (٢) الديوان جـ ٣/٥٢ (٣) الديوان جـ ٢/٧٥

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

دعيني أُصبْ من متعة قبل رقدةٍ
تكاد بها نفس الشفيق تزول[1]

أخذه المتنبي فقال :

تمتــع من سهـاد أو رقــاد
ولا تأملْ كَرىً تحت الرّجام

● وقوله :

فبتنا معاً لا يخلص الماء بيننا
إلى الصبح ، دوني حاجب وستور

أخذه علي بن الجهم فقال :

سقى الله ليلاً ضمّنا بعد هجعة
وأدنى فؤادا من فؤاد معذّب

فبتنا جميعاً لو تراق زجاجة
من الراح فيما بيننا لم تسرب

كما أخذه ابن المعتز فقال :

فلو ترانا في قميص الدجى
حسبتنــا في جسـد واحــد

حسبنا هذا القدر في بيان منـزلته الأدبية ، وإظهار شخصيته المستقلة ، وإطراء بلاغة وبيان شاعريته . . . وحسبه أن يكون أول من فتق أكمام البديع قبل عصر البديع ، وأن يقال فيه : خاتمة السابقين ، ورأس اللاحقين ، ولا غرو فقد جمع في شعره بين جزالة القدامى ورقّة المحدثين .

الدكتور محمد نبيه حجاب

(١) الديوان جـ ٤/١٤٩

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous